عاقبة اغتنام القوة في القصص القرآني
(دراسة استقرائية تحليلية)

إعداد

عبد اللطيف نصر محمد خضر

أ.د محمد عطا أحمد يوسف

أستاذ متفرغ بقسم اللغة العربية كلية الأداب _ جامعة طنطا

المستخلص:
هذه المقالة تعتني بإظهار القوة كفرصة واجبة الاغنام، وذلك إظهار ضرورة الاعتقاد بأن القوة لله جميعا اعتقاد ضروري ومهم جدا للإنسان، لأنه يُمده بالقدرة اللازمة لمواصلة السعي وتحمل عناء المكابدة، وكل شيء فى الكون شاهد علي صحة هذا المعتقد، فهو سبحانه يقضي فلا راد لقضائه، ويحكم فلا معقب لحكمه، يُحي ويُميت، يعز ويذل، لا يُنازعُه مُنازِع، ولا يغلِبُه غالب، وهذا هو معتقد الأنبياء جميعا ومن تبعهم إلي يوم الدين، قال تعالي {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ} الحديد ٢٥، يقول صاحب التحرير والتنوير "وجملة {إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ} تعليل لما قبلها، أي لأن الله قوي عزيز في شؤونه القدسية، فكذلك يجب أن تكون رسله أقوياء أعزة، وأن تكون كتبه معظمة"، ثم إظهار عاقبة اغتنام القوة بهذا المعنى ووفق هذا الاعتقاد أو تفويتها من خلال القصة القرآنية.

الكلمات الإفتتاحية: عاقبة، اغتنام، القوة، قصص، قرآني.

مقدمة

إن الاعتقاد بأن القوة لله جميعا ضروري ومهم جدا للإنسان، لأنه يُمده بالقدرة اللازمة لمواصلة السعي وتحمل عناء المكابدة، وكل شيء فى الكون شاهد علي صحة هذا المعتقد، فهو سبحانه يقضي فلا راد لقضائه، ويحكم فلا معقب لحكمه، يُحي ويُميت، يعز ويذل، لا يُنازِعُه مُنازِع، ولا يغلِبُه غالب، وهذا هو معتقد الأنبياء جميعا ومن تبعهم إلى يوم الدين، قال تعالي {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ} الحديد ٢٥، يقول صاحب التحرير والتنوير "وجملة {إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ} تعليل لما قبلها، أي لأن الله قوي عزيز في شؤونه القدسية، فكذلك يجب أن تكون رسله أقوياء أعزة، وأن تكون كتبه معظمة". (١)

يؤكد هذا الاعتقاد ويزيده رسوخا وثباتا أن كل وصف بالقوة للمخلوق عامةً وللإنسان خاصةً وصفٌ حادث، قال تعالي {وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا} النساء ٢٨، وكل حادث إلى زوال، قال تعالي {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً} الروم ٥٤، فأصل الخِلقة والتكوين للإنسان الضعف، ثم يُؤتى مظهرا من مظاهر القوة أو صورة من صورها، ثم يعود أدراجه إلى الأصل فيصيبه الضعف، قال تعالي {فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ} ١٠، يقول صاحب النكت والعيون "القوة: العشيرة، والناصر، الحليف، وقيل: فما له من قوة في بدنه، ولا ناصر يمتنع به من الله، أو ينتصر به على الله، وقيل: فما له من قوة في الامتناع، ولا ناصر في الاحتجاج". (٢)

وبهذا الاعتقاد يزول الإشكال من نفوس المتوهمين فى القوة المادية، فالقوة الحقيقة المتكاملة هي التي تبدأ من هذه العقيدة وتنتهي إليها، قال تعالي {وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ} هود ٥٢، يقول صاحب معالم التنزيل "{وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ} أي: إن آمنتم بالله وحده وصدقتموني تزدادون قوة بالأموال والأولاد، وقيل: تزدادون قوة في الدين إلى قوة البدن". (٣)

ومن ثم ينْجَبِرُ ما قد يقع من قلة الأسباب المادية المتاح تحصيلها، فلا تجد الهزيمة النفسية طريقا لنفس الإنسان مع هذا الاعتقاد أبدا، قال تعالي {قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ} البقرة ٢٤٩، يقول صاحب إرشاد العقل السليم "{بِإِذْنِ ٱللَّهِ} فإن دوران كافة الأمور على مشيئته تعالى، فلا يذل من نصره وإن قل عدده، ولا يعز من خذله وإن كثر أسبابه وعدده...وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه". (٤)

---

(١) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية – تونس، ج ٢٧، ص ٤١٨.

(٢) النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد، المشهور بالماوردي، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ج ٦، ص ٢٤٨.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ج ٢، ص ٤٥٣.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج ١، ص ٢٤٣ بتصرف.

أولا: القوة في القرآن الكريم كفرصة واجبة الاغتنام

المقدمة الأولي: إن مفهوم القوة فى القرآن يأتي في مجمله تعبيرا عن إرادة المتصف بها وقدرته على القيام بأمر ما، ولهذه القدرة صورتين:

الصورة الأولي: قدرة مطلقة أصيلة غير مضافة مرتبطة بإرادة نافذة ومشيئة ماضية، وهذه لا يمكن وصف أحد بها إلا الله، قال تعالي {إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ} الذاريات ٥٨، يقول صاحب التحرير والتنوير "والقوةُ: القدرة، وذو القوة: صاحب القدرة... والمعني: لا رزاق، ولا ذا قوة، ولا متين إلا الله". (١)

والصورة الثانية: قدرة نسبية غير أصيلة مرتبطة بإرادة مضافة، وهذه تتجلي في أفعال المخلوق بالقدر الذي يُريده صاحب القدرة والإرادة المطلقة سبحانه، قال تعالي {عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ} النجم ٥-٦، يقول صاحب مدارك التنزيل "ومعناه ملك شديد قواه، والإضافة غير حقيقية، لأنها إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها". (٢)

المقدمة الثانية: أن القوة في صورتها النسبية المقرونة بالإرادة المضافة لها مُحددات تجعل لها أثرا محمودا ومقدرا، منها: الاعتقاد اليقيني بألا قوة ولا قدرة ولا إرادة إلا لله، قال تعالي {وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ} الكهف ٣٩، يقول صاحب مفاتيح الغيب "أي لا قوة لأحد على أمر من الأمور إلا بإعانة الله وإقداره". (٣)

ومنها: العمل بمقتضي أوامر صاحب القوة المطلقة والإرادة النافذة سبحانه، قال تعالي {خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة ٦٣، يقول صاحب نظم الدرر "{بِقُوَّةٍ} أي بجد واجتهاد، والقوة باطن القدرة". (٤)

ومنها: العمل وفق مقتضيات السنن والقوانين الإلهية وعدم مخالفتها، وفي مقدمتها استيفاء الأسباب المادية المتاحة قدر الإمكان، قال تعالي {قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ

---

(١) التحرير والتنوير: سبق ذكره، ج ٢٧، ص ٢٩ بتصرف.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله النسفي، المحقق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب – بيروت، ج ٣، ص ٣٨٩.

(٣) مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج ٢١، ص ٤٦٥.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: براهيم بن عمر بن حسن بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج ١، ص ٤٦١.

أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} الكهف ٩٥، يقول المحرر الوجيز "أي: ما بسط الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم وأموالكم، ولكن أعينوني بقوة الأبدان، وبعمل منكم بالأيدي". (١)

ومنها: الأخذ في الاعتبار أن القوة وسيلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل وليست غاية في ذاتها، فهي لا تعني العنف أو البطش أو التسلط، وإنما تعني القدرة على نصرة الحق ومغالبة الباطل بوضع الندي فى موضعه، وكذا السيف، فاللين في موضعه قوة، والشدة فى موضعها قوة، والمهادنة فى موضعها قوة...إلخ، يقول د/ علي القره داغي "ثم إن الآيات القرآنية تدل على أن القوة ما هي إلا وسيلة معتبرة بغاياتها، ولذلك إذا حققت الخير وعمرت الكون علي ضوء منهج الله فهي القوة المحبوبة المطلوبة فى الإسلام، وإلا فهي قوة جاهلية تفسد ولا تصلح، وتخرب ولا تعمر". (٢)

لتكون النتيجة: أن القوة في صورتها المضافة تكون فرصة واجبة الاغتنام إذا ارتبطت بالقوة المعنوية المنبثقة من الإيمان، لأن الإنسان مهما بلغت قوته المادية مع ضعف إيمانه فلن يتحصل من القوة إلا على الشكل، بينما يظل المضمون فارغا، قال تعالي {وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ} النحل ٩٢، يقول الشيخ السعدي "{وَلَا تَكُونُوا} في نقضكم للعهود بأسوأ الأمثال وأقبحها وأدلها على سفه متعاطيها، وذلك {كَالَّتِي} تغزل غزلا قويا فإذا استحكم وتم ما أريد منه نقضته فجعلته {أَنْكَاثًا} فتعبت على الغزل ثم على النقض، ولم تستفد سوى الخيبة والعناء وسفاهة العقل ونقص الرأي". (٣)

---

(١) المحرر الوجيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ج ٣، ص ٥٤٣.

(٢) نظرات في القوة والجهاد: على القره داغي، الناشر: كلية الشريعة والقانون – جامعة قطر، ص ٢٥٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ص ٤٤٧.

ثانيا: عاقبة اغتنام القوة في القصة القرآنية

العاقبة الأولى: اغتنام القوة فرصة لتصحيح مفاهيم الفوز والخسارة.

إن المقاييس المادية تتواري حينما يقارنها المؤمن القوي بوعد الله له، فالمؤمن بينه وبين الله عقد باع بموجبه نفسه وماله لله في مقابل الجنة، وهو عقد موثقٌ في الكُتب السماوية الثلاث القرآن والتوراة والإنجيل، ومن ثمَّ تتضاءل إلى جوار تلك السلعة الغالية كل المعايير المادية للفوز والخسارة حد التلاشي، قال تعالى {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ} التوبة ١١١، يقول صاحب فتح القدير "أخبر أولا بأنه قد اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة حتي صارت ملكا لهم، ثم أخبر ثانيا: أنه قد وعد بذلك في كتبه المنزلة، ثم أخبر بأنه لا بد من حصول الموعود ... ثم زادهم سرورا فقال {فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ} أي: أظهروا السرور بهذا البيع الذي بايعتم به الله عز وجل، فقد ربحتم فيه ربحا لم يربحه أحد من الناس إلا من فعل مثل فعلكم...ووصف الفوز بالعظم يدل على أنه فوزٌ لا فوزَ مثله". (١)

إن ممتلك القوة الحقيقة يستمد قوته من خالقه ويصرفها في مرضاته، وهو لا يبالي بما يُصيبه فى هذا الطريق، وإن أُلقي في النار المحرقة أو شُقَّ بالمنشار جزلتين، لقد كانت قوة أصحاب الأخدود على هذا النحو الجالب للفوز الكبير، يقول تعالي معقبا على قصة أصحاب الأخدود {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ} البروج ١١، يقول صاحب فتح البيان "وظاهر الآية العموم فيدخل في ذلك المحرقون في الأخدود دخولاً أولياً، أي: أن الجامعين بين الإيمان وعمل الصالحات يدخلون الجنة يتلذذون ببردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا عليه في الدنيا {ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ} الذي لا يعدله فوز ولا يقاربه ولا يدانيه". (٢)

فالمؤمن القوي حينما ترتفع شمس يقينه في الحق لا يبالي بما يصيبه من آلام، بل إنه يستعذب الأسن في سبيل الله، لقد أظهر السحرة في مواجهة التهديد بالقتل والصلب قوة عجيبة قل نظيرها! والأكثر عجبا هو مباغتتهم لفرعون ومفاجأته علي نحو أسقط هيبته في أعين المفتونين به، وأبطل ما عمل فرعون لأجله زمنا طويلا من استدامة استعباد الناس وامتلاك أقدارهم، وما أعانهم على هذا كله إلا القوة المستندة إلى إدراك مفهوم الفوز الحقيقي المرتبط بطلب الدرجات العلي ودخول الجنة، قال تعالي {وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ} طه ٧٤ - ٧٦، يقول صاحب المحرر الوجيز "قالت فرقة: هذه الآية بجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه، وقالت فرقة: بل هي من كلام الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ

---

(١) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ج ٢، ص ٤٦٤ بتصرف.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن: صديق خان البخاري القِنَّوجي، قدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ج ١٥، ص ١٦٨.

تنبيها على قبح ما فعل فرعون، وحسن ما فعل السحرة...و{ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ} هي القرب من الله تعالى، و{تَزَكَّىٰ} معناه: أطاع الله وأخذ بأذكى الأمور". (١)

العاقبة الثانية: اغتنام القوة فرصة لتصحيح مفاهيم النصر والهزيمة.

لما كان وعد الله لعباده المرسلين وأتباعهم من المؤمنين وعدا صريحا بأن يجعل لهم الغلبة والنصر على أعدائهم، فقد جعل لهم هذا النصر وتلك الغلبة في الدنيا والآخرة، قال تعالى {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ} غافر ٥١، وإنما تكون الغلبة للمؤمنين في الدنيا على وجهين، أحدهما: الغلبة بالحجة والدليل والبرهان، والثاني: الغلبة عن طريق الجهاد والقتال، قال تعالى {كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ} المجادلة ٢١، يقول الإمام القرطبي "كتب الله لأغلبن أي: قضى الله ذلك، وقيل: كتب في اللوح المحفوظ...ورسلي من بعث منهم بالحرب فإنه غالب بالحرب، ومن بعث منهم بالحجة فإنه غالب بالحجة". (٢)

فأما الغلبة بالحجة والدليل فأمر واضح لا يحتمل الشك ولا يشوبه الريب، وعلى ذلك من القصة القرآنية أمثلة كثيرة، منها:

المثال الأول: قوله تعالى {فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} الأنبياء ٦٤، لقد ساق إبراهيم -عليه السلام- من الحجج القوية البليغة ما صخَّ به آذان الأصم، وأنار به ظلمة أعين العميان، لدرجة أن خصومه رجعوا إلى أنفسهم للتمحيص والتدقيق، فما يقوله لهم هو عين المعقولية، وما هم عليه عين البلادة، وهذا لون من ألوان الظهور والانتصار على الخصوم، يقول صاحب نظم الدرر "{فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ} بمعنى أنهم فكروا فيما قال فاضطرهم الدليل إلى أن تحققوا أنهم على محض الباطل {فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} لكونكم وضعتم العبادة في غير موضعها، لا إبراهيم فإنه أصاب في إهانتهم سواء المحز، ووافق عين الغرض". (٣)

المثال الثاني: قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ} البقرة ٢٥٨، وإنما بُهت الذي كفر ولم يعد له في مواجهة ذلك التحدي إلا الحيرة والحسرة، فلزمته الدهشة، واستولت على تلابيب عقله ولسانه الحجة، يقول صاحب روح المعاني "{فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ} أي غُلب وصار مبهوتا منقطعا عن الكلام متحيرا لاستيلاء الحجة عليه". (٤)

المثال الثالث: قوله تعالى {قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ} هود ٩٠، وإنما نفوا عن أنفسهم الفهم بعدما حاروا في الرد عليه، وأعياهم طلب الأدلة في مواجهته، وهذا هو ديدن المغلوب دائما، يقول صاحب إرشاد العقل السليم "وإنما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: سبق ذكره، ج ٤، ص ٥٣ بتصرف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ج ١٧، ص ٣٠٦ بتصرف.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: سبق ذكره، ج ١٢، ص ٤٤١.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ج ٢، ص ٢٠.

أحسن وجه وأبلغه، وضاقت عليهم الحيل، وعيت بهم العلل، فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا، كما هو ديدن المفحم المحجوج". (١)

المثال الرابع: قوله تعالي {قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا} هود ٣٢، ولو كان لهم في تلك المبارزة العقلية فرصة ولو ضئيلة للفوز لتمسكوا بها، لكنهم لما يأسوا من ذلك، طلبوا منهم التوقف عن المحاجة، فإن خسارتهم لا سبيل لهم لدفعها بوجه من الوجوه، يقول صاحب التحرير والتنوير "وكانت المجادلة الأخيرة هي التي استفزت امتعاضهم من قوارع جدله حتى سئموا من تزييف معارضتهم وآرائهم شأن المبطل إذا دمغته الحجة". (٢)

المثال الخامس: قوله تعالي {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} غافر ٢٨، فالمؤمن القوي ذكي فطن لدرجة أنه يوظف قوته مهما بلغت لصالح الحق الذي يحمله، فهو ليس متهورا أحمقا، ولا جبانا متخاذلا، لكنه يتخذ بين ذلك سبيلا، يُضمرُ قوته حينما تكون غلبته في الإضمار، ويُعلن حينما يكون تمام غايته فى الإعلان، يقول صاحب الكشاف "فإن قلت: لم قال {بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ} وموسي نبيّ صادق، لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه؟ قلت: لأنه احتاج في مقاولة الخصوم من باب الملاوصة، ويسلك معهم طريق الإنصاف في القول، ويأتيهم من وجهة المناصحة ... ويريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا، فضلا أن يتعصب له، أو يرمى بالحصا من ورائه". (٣)

ولما كان الإذعان لقوة الحجة وسلامة المنطق لا يُسَلِمُ له كل الناس، بل إن الكثرة الغالبة تواجهه بالبطش والطغيان، فقد جعل الله لعباده طريقا للغلبة والنصر والتمكين وهو طريق القوة المادية عبر أدواتها المختلفة، وهي في القصص القرآني على صورتين:

الصورة الأولي: استخدام القوة المسلحة بشكل مباشر لرد العدوان ودفع الظلم، وفي هذا السياق يمكن أن نفهم أن تحرك طالوت لمخاشنة العدو كان تحركا لرد العدوان ورفع الظلم عن كاهل قومه، وهو نفسه السياق الذي نفهم من خلاله كيف كانت قوة ذو القرنين لمواجهة الظلم وردع أهله، قال تعالي {قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا} الكهف ٨٧، والذي يظهر -والله أعلم بمراده- أن مواجهته هؤلاء القوم لم تكن للكفر خاصة، وإنما ارتبط بكفرهم مظالم واعتداءات توجب المواجهة والمدافعة، يقول صاحب التحرير والتنوير "وقد دل قوله {إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا} الكهف ٨٦، على أنهم مستحقون للعذاب، فدل على أن أحوالهم كانت في فساد من كفر وسوء عمل". (٤)

الصورة الثانية: إبراز القوة العسكرية والتلويح باستخدامها، وهو ما نستنتجه من فعل سليمان -عليه السلام- مع بلقيس ملكة سبأ، فقد أقدم على ما يمكن أن تسميته باستعراض للقوة بشكل عملي من خلال جلب عرشها بطريقة إعجازية، والخوض بها في الصرح الممرد من قوارير،

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: سبق ذكره، ج ٤، ج ٢٣٥.

(٢) التحرير والتنوير: سبق ذكره، ج ١٢، ص ٦٠.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ج ٤، ص ١٦٢.

(٤) التحرير والتنوير: سبق ذكره، ج ١٦، ص ٢٦.

وهي قدرات تفوق تُخيلاتها وتصوراتها، وقبل هذا كله -والله أعلم بمراده- لربما علم سليمان -عليه السلام- بتلويح قومها بالقوة والبأس في مواجهته، فواجههم بتلويحٍ أشد وأعتى فقال {ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ} النمل ٣٧، يقول صاحب النكت والعيون "أي لا طاقة لهم بها ليكون الهدهد نذيرا لهم، وصدق نبي الله سليمان -عليه السلام- لأن من جنوده الإنس والجن والطير فليس لأحد بها طاقة". (١)

العاقبة الثالثة: اغتنام القوة فرصة لنيل العزة وصون الكرامة.

إن الفطرة الإنسانية مركب فيها ميل للمقاومة وعدم الاستسلام للذلة والهوان، فلا تجتمع المقاومة المستجيبة للفطرة المستندة إلى القوة مع الذلة أبدًا، فالقرآن تَنَزَّلَ والكرامة جوهرة، والاعتزاز بالحق أصله ومعدنه، فماذا يصنع الجبابرة والطغاة في قلوب لاذت تطلب العزة من صاحبها سبحانه؟! ولكنَّ ما عند الله لا يُنال إلا بطرق أبواب الأسباب قدر الاستطاعة، فالمؤمن الحائز للقوة وأدواتها خير وأحب إلى الله من غيره، قال تعالي {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} المائدة ٢٣، يقول صاحب الكشاف "فان قلت: من أين علما أنهم غالبون؟ قلت: من جهة إخبار موسى بذلك، ومن جهة قوله {كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ}، وقيل: من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله، وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه، وما عرفا من حال الجبابرة". (٢)

إن العزة المتدثرة بالقوة في القرآن ليست مرادفاً للكبر أو التفاخر، وليست عنوانا للبغي والعدوان، ولا هضم الحقوق والتظالم، وإنما هي للحفاظ على الكرامة الإنسانية، وصيانةً لما يجب أن يصان من الحقوق، لذلك فهي لا تتعارض مع الرحمة، بل هي مقدماتٌ لها، وممهدةٌ لطريقها، فالعزيز حقا يكون رحيما، والقوة حينئذ تعلوها العزة وتكسوها الرحمة، وتكون حقيقية غير مصطنعة، راسخة فى نفس الإنسان، مرتكزة علي الحق تدور معه حيث دار، فقَدَرُ المؤمن ألا يهن ولا يذل ولا يستكين ولا يضعف في مواجهة أي خطر يتهدد الحق الذي يحمله، والعمدة في هذا الباب قوله تعالي {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ} آل عمران ١٤٦، يقول الشيخ السعدي "هذا تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كان متقدما، لم تزل سنة الله جارية بذلك ... {فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ} أي ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم". (٣)

العاقبة الرابعة: اغتنام القوة فرصة لإنجاز الأعمال وتحقيق الآمال.

إن القوة تمنح صاحبها قدرة أكبر على إنجاز الأعمال وتحقيق الأهداف والتغلب على المعوقات، فالقوي يعرف ما هو المطلوب، وكيفية تحقيقه، وسبيل الوصول إليه، ومن ثمَّ يصل لغايته بشكل أسرع وأكثر إتقانا من غيره، ومن الأمثلة على ذلك:

المثال الأول: اختيار جبريل -عليه السلام- لتعليم الأنبياء والرسل ما يُوحي الله به إليهم، فالأعمال العظام يشترط لها قدرة العامل على الوفاء بها، قال تعالي {ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ

---

(١) النكت والعيون: سبق ذكره، ج ٤، ص ٢١١.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: سبق ذكره، ج ١، ص ٦٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: سبق ذكره، ص ١٥١.

مَكِينٍ} التكوير ٢٠، وقال أيضا {عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ} النجم ٥، ففي كلا الموضعين الاختيار مسبب بالقوة، وهذا تأكيد على أهميتها في إنجاز الأعمال على النحو المطلوب، يقول صاحب روح المعاني "والمقصود جبريل، فإنه الواسطة في إبداء الخوارق، وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط...وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين، وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده في أسرع من رجعة الطرف". (١)

المثال الثاني: القوة مؤهل يُبيح تزكية النفس متي اقتضته الحكمة وتطلبته الحاجة، قال تعالي {قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ} النمل ٣٩، يقول صاحب روح المعاني "والقوة صفة تصدر عنها الأفعال الشاقة، ويطيق بها من قامت به لتحمل الأجرام العظيمة، ولذا اختير قوي على قادر هنا". (٢)

المثال الثالث: تولية الأعمال للقوي الأمين سبب في تحقيق الآمال وتقليل الأعباء، فإنه لما شقَّ على ابنتي شعيب أمر الرعي، طلبت إحداهن من أبيها استئجار موسي -عليه السلام- للقيام بتلك المهمة فإنه عليها أقدر خَلْقًا وخُلُقًا، وفي تحمله لتلك المهمة ما يرفع عنهما العنت في مزاحمة الرجال، قال تعالي {إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ} القصص ٢٦، يقول الشيخ السعدي "وإنما قالت ذلك، لأنها شاهدت من قوة موسى عند السقي لهما ونشاطه، ما عرفت به قوته، وشاهدت من أمانته وديانته، وأنه رحمهما في حالة لا يرجى نفعهما". (٣)

المثال الرابع: أن طلبَ الإعانةِ من الغيرِ مشروطٌ بامتلاك المُستعانُ به القوة اللازمة لإنجاز ما يستعان به عليه، قال تعالي {فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} الكهف ٩٥، يقول الإمام القرطبي "وقوله {فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ} وهذا تأييد من الله لذي القرنين في هذه المحاورة فإن القوم لو جمعوا له خرجا لم يعنه أحد، ولو كلوه إلى البنيان ومعونته بأنفسهم أجمل به وأسرع في انقضاء هذا العمل وربما أربى ما ذكروه له على الخرج". (٤)

المثال الخامس: مظاهر القوة تحمي صاحبها حتى وصوله إلى مراده وإتمام رسالته، فقوم شعيب -عليه السلام- قالوا {وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} هود ٩١، فأهل شعيب -عليه السلام- وعشيرته كانوا له بمثابة الدرع الواقي الذي يتلقى به ضربات المعاندين له فلا يُصيبه السوء، يقول صاحب أضواء البيان "بين تعالى في هذه الآية أن نبيه شعيبا -عليه السلام- منعه الله من الكفار، وأعز جانبه بسبب العواطف العصبية، والأواصر النسبية من قومه الذين هم كفار، وهو دليل على أن المتمسك بدينه قد يعينه الله ويعزه بنصرة قريبه الكافر". (٥)

المثال السادس: استخدام القوة لمقارعة البغاة وعتاة المجرمين وإرغام أنوفهم وكسر شوكتهم بحسب الطاقة يمهد الطريق لتحقيق الغايات الكبرى، فداود -عليه السلام- حينما قتل جالوت فى بداية المعركة كان ذلك إيذانا بالخير والعز والتمكين، وإلهابا لحماسة الجند ورفع معنوياتهم، وفاتحة خير، قال تعالي {وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ} البقرة ٢٥١، يقول صاحب البسيط "إن جالوت طلب المبارزة فخرج إليه داود، وكان ممن عبر النهر مع طالوت، فرماه بحجر من مقلاعه،

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: سبق ذكره، ج ١٤، ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق: ج ١٠، ص ١٩٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: سبق ذكره، ص ٦١٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: سبق ذكره، ج ١١، ص ٦٠.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، الناشر: دار الفكر – بيروت، ج ٢، ص ١٩٨.

فوقع بين عينيه، فخرج من قفاه، وقتل من ورائه ثلاثين رجلا، وانهزم القوم عن آخرهم، وخر جالوت قتيلا". (١)

ثالثا: عقوبة تفويت اغتنام فرصة القوة فى القصة القرآنية

العقوبة الأولى: تفويت غنيمة القوة سبب في ظُلم الإنسان لنفسه.

إن مظاهر القوة المادية التي لا يُغلفها صاحبها بقوة إيمانية تعصمها وتوجهها تُحيل الإنسان للوقوع في جريمة ظُلم نفسه أولا، فالقوة المادية وأسبابها ضرورية ومهمة من حيث الشكل، لكنها لا تستطيع الوفاء بما يحتاجه الإنسان من امتلاك القوة، وعلى ذلك أمثلة:

المثال الأول: لما كان لأهل سبأ من مظاهر القوة المادية ما لم يكن لغيرهم، كان الواجب عليهم أن يغتنموها بقوة الإيمان والمعتقد، فلما لم يفعلوا ذلك، وبدلوا نعمة الله كفرا، فقد أحلوا أنفسهم وأهليهم دار البوار، وارتكبوا بحق أنفسهم ظلما فادحا، قال تعالي {فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ} سبأ ١٩، يقول الإمام ابن كثير "يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغبطة والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، ويقيل في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم، والأمن حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهارا {فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ} أي: بكفرهم، فجعلناهم حديثا للناس، وسمرا يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا". (٢)

المثال الثاني: تفويت اغتنام القوة المادية بشكل صحيح يُخرجها من طور الوسيلة إلى طور الغاية، وهذا مكمن الخطر وقمة الضرر، وذلك لأن صاحبها يظن في قوته الأصالة، وهذا يتنافى مع طبيعة الإنسان وأصل خلقته، والتي تؤكد حدوث قوته وبالتالي زوالها يوما ما، قال تعالي {فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ} فصلت ١٥، يقول صاحب المحرر الوجيز "ثم وصف حالة القوم، وأن عادا طلبوا التكبر ووضعوا أنفسهم فيه بغير حق، بل بالكفر والمعاصي، وغوتهم قوتهم وعظم أبدانهم والنعم عليهم، فقالوا على جهة التقرير {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}؟ أي: لا أحد أشد منا قوة، فعرض الله تعالى بقوله {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} وهذا بين في العقل، فإن الموجد للشيء المخترع له المذهب متى شاء هو أقوى منه". (٣)

---

(١) التفسير البسيط: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج ٤، ص ٣٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ج ٦، ص ٥٠٨ – ٥٠٩ بتصرف.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: سبق ذكره، ج ٥، ص ٨.

المثال الثالث: تفويت اغتنام القوة يُعطي المفوت انطباعا وهميا بالقدرة علي تحسين جودة الحياة واستدامتها، وأنه في مأمن من البلايا والرزايا، وهذا منتهي ظلم الإنسان لنفسه، قال تعالي {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا} مريم ٧٤، يقول صاحب روح المعاني "وحاصله أن كثيرا ممن كان أعظم نعمة منكم في الدنيا كعاد وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قد أهلكهم الله تعالى، فلو دل حصول نعمة الدنيا للإنسان على كونه مكرما عند الله تعالى وجب أن لا يهلك أحدا من المتنعمين في الدنيا، وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى". (١)

العقوبة الثانية: تفويت اغتنام فرصة القوة يجلب ذميم الصفات وقبيح الفعال.

إن العاقل وبموجب قانون اغتنام الفرص مطالب بالتعامل مع نِعَم الله عليه باعتبارها فرص، فإن هو بادر إلى تلك النعم المتاحة كان ذلك مؤهلا للوصول إلى الفرص الاستثنائية، وعلى خلاف ذلك يكون المفوت، إذ يري في كل نعمة نهزة للوصول إلى رغباته الدنيئة، فيُحيله ذلك إلى شخص مضطرب غير سوي، ويجعل ذلك من شخصيته مرتعا للصفات الدنيئة، والأفعال المنكرة بالغة القبح، من هذه الصفات:

الصفة الأولي: قلة الحيلة وفساد الرأي والتزلف والتودد الكاذب، فالمستعلي بأسباب القوة المادية يبدو في صورة المتزلف المتودد تماماً كما أظهر فرعون تواضعه لحاشيته، ولين القول معهم وطلب المشورة منهم وقد قال لهم غير مرة {مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى} القصص ٣٨، فكيف لإله أن يطلب المشورة من مألوهه؟! وكيف له أن يطلب معونة السحرة في مواجهة معجزات موسي عليه السلام؟! إنها مظاهر العجز الكامنة في نفس المفوت لفرصة القوة، قال تعالي {يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} الشعراء ٣٥، يقول صاحب فتح القدير "{فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} أي: ما رأيكم ومشورتكم؟ فأظهر لهم الميل إلى ما يقولونه تألفا لهم واستجلابا لمودتهم ... وإلا فهو أكبر تيها وأعظم كبرا من أن يخاطبهم كواحد منهم، مع كونه قبل هذا الوقت يدعي أنه إلههم ويصدقونه في دعواه". (٢)

الصفة الثانية: ارتكاب الجرائم المنكرة الشنيعة، وانعدام الرحمة والشفقة بالخلق، والمبالغة في القسوة حال المُكْنة، قال تعالي {فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ} غافر ٢٥، يقول صاحب روح المعاني "فالأمر بالقتل والاستحياء وقع مرتين، الأولى: حين أخبرت الكهنة والمنجمون في قول فرعون بمولود من بني إسرائيل يسلبه ملكه، والثانية هذه، وضمير {قَالُواْ} لفرعون ومن معه". (٣)

وأشنع من ذلك ما أقدم عليه قوم إبراهيم -عليه السلام- من إلقاءه في النار بغرض إحراقه، قال تعالي {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} العنكبوت ٢٤، يقول صاحب التحرير والتنوير "وجيء بصيغة حصر الجواب في قوله {ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} للدلالة على أنهم لم يترددوا في جوابه وكانت كلمتهم واحدة في تكذيبه وإتلافه، وهذا من تصلبهم في كفرهم، ثم

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: سبق ذكره، ج ٨، ص ٤٤١.

(٢) فتح القدير: سبق ذكره، ج ١٤، ص ١١٥.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: سبق ذكره، ج ١٢، ص ٣١٥.

ترددوا في طريق إهلاكه بين القتل بالسيف والإتلاف بالإحراق، ثم استقر أمرهم على إحراقه". [١]

الصفة الثالثة: الجرأة على المحارم والاستخفاف بها والإصرار على ذلك، قال تعالي {وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ} هود ٥٢، يقول صاحب مفاتيح الغيب "ومعناه: لا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه مجرمين أي مصرين على إجرامكم وآثامكم". [٢]

الصفة الرابعة: الغدر والخيانة وترتيب المكائد والمؤامرات، قال تعالي {وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ} النمل ٤٨ – ٤٩، يقول شيخ الأزهر د/سيد طنطاوي "وقد تعاهدوا على أن يباغتوا نبيهم وأهله ليلا، فيقتلوهم جميعا، ثم يقولون بعد جريمتهم الشنعاء لأقارب صالح: ما حضرنا هلاك أهله وهلاك صالح معهم، ولا علم عندنا بما حل بهم وبه من قتل". [٣]

الصفة الخامسة: الكذب والتلاعب بالعقول وتزييف الوعي الجمعي لعامة الناس، قال تعالي {قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ} غافر ٢٩، يقول الإمام ابن كثير "أي: ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق، وقد كذب فرعون، فقوله كذب وافتراء، وخيانة لرعيته، فغشهم وما نصحهم". [٤]

الصفة السادسة: العلو والاستكبار، وهما صفتان جامعتان لكل المغترين بمظاهر القوة المادية، بل وصل العلو والاستكبار ببعضهم إلى ادعاء الألوهية ومنازعة الله في ملكه، وهذه أقبح الأفعال وأشنعها مطلقا، قال تعالي حكاية عن حال النمرود {أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِي رَبِّهِۦٓ} البقرة ٢٥٨، وقال تعالي حكاية عن فرعون {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ} النازعات ٢٤، يقول صاحب المحرر الوجيز "وقول فرعون {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} نهاية فى المُخْرِقَةِ، ونحوها باق فى ملوك مصر وأتباعهم". [٥]

<u>العقوبة الثالثة: تفويت اغتنام القوة سبب في إضعاف القدرة على الإنجاز.</u>

إن القوة الإيمانية هي التي تجعل للأسباب المادية أثرا نافعا وشاملا، وبدونها تُصبح العُدة والعتاد مهما بلغا من الكثرة مجرد أدوات مُفرغةٌ المضمون، وهو ما جعل الهزيمة أمرا واقعا في أُحدٍ حينما خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ، وجعل الهزيمة أقرب إليهم يوم حنين، قال تعالي {لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} التوبة ٢٥، يقول صاحب التحرير والتنوير "وإنما

---

(١) التحرير والتنوير: سبق ذكره، ج ٢٠، ص ٢٣٤.

(٢) مفاتيح الغيب: سبق ذكره، ج ١٨، ص ٣٦٤.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ١٠، ص ٣٣٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم: سبق ذكره، ج ٧، ص ١٢٤.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: سبق ذكره، ج ٥، ص ٤٣٣.

خص يوم حنين بالذكر لما فيه من العبرة بحصول النصر عند امتثال أمر الله ورسوله ﷺ وحصول الهزيمة عند إيثار الحظوظ العاجلة على الامتثال". [١]

فجهل الإنسان بمصدر قوته الحقيقي يُضعف قدرته على الإنجاز، وما التيه الذي دخل فيه بني إسرائيل إلا أنهم حصروا القوة فى صورتها المادية، وجهلوا أو تناسوا بسبب خورهم وجبنهم أن القوة لله جميعا، وهو ما ألحق بهم مزيدا من الذلة والهوان، وباعد بينهم وبين دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم أربعين سنة، قال تعالي {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ} المائدة ٢٦، يقول الشيخ السعدي "ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة". [٢]

إن الإنجاز الحقيقي للقوة يُقاس بمدى التمسك بالقيم الأخلاقية في تصريفها، فمظاهر القوة لدي الأقوام السابقة والتي حكي القرآن عنها كثيرا، وبلغت حدا هائلا بمقاييس هذه الأزمنة لم يكن لها من الإنجاز نصيب، بل على العكس من ذلك، لأنهم أتبعوها بالفساد والطغيان والظلم والبغي والعدوان، وهذا وضع للقوة في غير موضعها الذي أراده الله سبحانه، قال تعالي {وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا} يونس ٩٠، يقول صاحب التحرير والتنوير "وإنما كان اتباعه إياهم ظلما وعدوانا ليس له فيه شائبة حق؛ لأنهم أرادوا مفارقة بلاد فرعون وليست مفارقة أحد بلده محظورة ... فلما رام فرعون منع بني إسرائيل من الخروج وشد للحاق بهم لردهم كرها كان في ذلك ظالما معتديا؛ لأنه يبتغي بذلك إكراههم على البقاء ولأن غرضه من ذلك تسخيرهم". [٣]

إن التلويح باستخدام القوة في موضع الندي مضر، والعكس كذلك، لأنه لون من ألوان قلة العقل وفساد الرأي، وهو ما دفع بلقيس إلى أن تضرب صفحا عن تلويح قومها بالقوة وشدة البأس في مواجهة سليمان -عليه السلام-، ولو أجابتهم لما أشاروا به عليها لخرجوا من بلادهم أذلة وهم صاغرون، قال تعالي {قَالُوا نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ} النمل ٣٣ - ٣٤، يقول شيخ الأزهر د/ سيد طنطاوي "وإنما قصدت التلويح لقومها بأن السلم أجدى من الحرب، وأن الملاينة مع سليمان- عليه السلام- أفضل من المجابهة والمواجهة بالقوة". [٤]

() [١] التحرير والتنوير: سبق ذكره، ج ١٠، ص ١٥٥.

() [٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: سبق ذكره، ص ٢٢٨ بتصرف.

() [٣] التحرير والتنوير: سبق ذكره، ج ١١، ص ٢٧٤ بتصرف.

() [٤] التفسير الوسيط للقرآن الكريم: سبق ذكره، ج ١٠، ص ٣٢٣.

Consequences of seizing power in Quranic stories (analytical inductive study)

By

Abdel Latif Nasr Mohamed Khader

Prof. Dr. Mohamed Atta Ahmed Youssef

Emeritus Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

This article is concerned with showing strength as an opportunity that is obligatory for sheep, and that is to show the necessity of believing that all strength is for God, a very necessary and important belief for man, because it provides him with the necessary ability to continue striving and bear the hardship of suffering, and everything in the universe is a witness to the validity of this belief. And he judges, and there is no hindrance to his rule, he gives life and death, he is dignified and humiliated, he is not contested by a contestant, and he is not overcome by a victor. This is the belief of all the prophets and those who followed them until the Day of Judgment. The Almighty said: {We have sent our messengers with the evidence, and we have sent them with them, the king, and the Mizzan, so that the people will be established. And may God know whoever we will support him and his messengers in the unseenۚ God is a dear force. His books are glorified", then show the consequence of seizing power in this

sense and in accordance with this entrustment or missing it through the Qur'anic story.

Keywords: Consequence, seize, strength, stories, Quranic.